وهو ، وان نحا في مطلع قصيدته منحى تقليديا ، حاكى فيه القدماء ، فلعب بالألفاظ ، وذكر ، كالمجنون ، ليلاه ، وختم القصيدة بذلك ، الا انه ظل واقعيا واعيا موقفه فلم يطغ التقليد على روح الشاعر وخصوصية الموقف ، بل على العكس ، اذ انه استخدم ، بوعي ، سمة التقليد هذه وسخرها لخدمة موقفه وفنه :

واذا غنيت ليلى في النوى  بعدما غيرك ليلاك سبى
فعلى رسلك يا مجنونها  انما انت تغني كذبا (٣٣)

والحق أن الحركة الوطنية في فلسطين ظلت ، منذ الاحتلال ، تتوجه مباشرة ، في صلب نضالها نحو الحركة الصهيونية ومقاومة تصريح بلفور وسياسة الوطن القومي اليهودي ، متخذة من مقاومة اخطار الصهيونية محور عملها وذلك بسبب ما احسه الاهالي من هذه الاخطار المباشرة ، وفي وقت مبكر ، منذ بدء عمليات الاستيطان وتملك الاراضي وغمر الهجرة اليهودية التي كانت ترد قوافلها على البلاد ؛ وبسبب اساليب الاستعمار البارعة في توجيه حركة هذا الاتجاه بتخويف الطرفين كل من الاخر ، والتظاهر بالقيام بدور المحامي العادل الذي لا يستغنى عنه في هذه المعادلة بين الشعبين على وطن واحد ، وساعد على ذلك رواسب المجتمع المتخلف وضعف الحركة الوطنية ، خصوصا ، بعد القضاء على الدولة العربية في دمشق واحتلال جيوش الحلفاء لكل من سوريا والعراق وانشغال كل منهما منفرداً بمقارعة الاستعمار وجيوشه المحتلة . وكان هذا صحيحا في عمومه ، ولكننا مع ذلك نرى بدايات تنبه الحركة الوطنية على موقف الاستعمار الحقيقي ، وبدايات التململ من تحت ضغوطه وتوجيهه ، فيخرج المؤتمر الوطني الفلسطيني السادس المنعقد في يافا عام ١٩٢٣ بقرارات ، من جملتها وجوب الامتناع عن دفع الضرائب ، مما كان له اثر كبير في شل حركة السلطة ، ورأى الانجليز في ذلك ، حتى من كان منهم يشجع العرب على مصاولة اليهود ، احتمالات بعيدة المدى ضد السياسة والمصالح الانجليزية مباشرة . وربما كان موقف الحركة الوطنية هذا بمثابة الجنين في هذه الفترة ، لكننا نرى الشعر سابقا على الحركة الوطنية فيه ، فمن خلال ما عرضنا من شعر نحس ببدايات لمس الشعراء فيها وتر الاستعمار والانتداب ونبهوا الى ضرورة الحذر من اخطارهما ودعوا الى مقاومة هذه الاخطار . ويمكننا ان نقع على هذا الموقف بشكل اكثر صراحة في قصيدة ( لا وصاية ولا انتداب ولا انتخاب ) لوديع البستاني ، وكانت البلاد قد قاطعت الانتخاب للمجلس التشريعي الابتر والاعرج الذي عرض فيما سمي الدستور ( لسنة ١٩٢٢ ) ، وما هو الا « أمر الملك بمجلسه الخاص » القائم على الانتداب ، القائم على الوطن القومي اليهودي . وهي القصيدة التي مطلعها :

ارى حربا ولست ارى حِرابا  وحبل السلم يضطرب اضطرابا

ومنها في مجابهة اصحاب الانتداب وانكار وصايتهم واغتصابهم :

وقد قلبوا المجنّ لنا وباتوا  وقد غلظوا فاغلظنا الجوابا
وانكرنا وصايتهم علينا  وقد جعلوا بوادرها اغتصابا
ولم نندبهم للامر فينا  وقد حكموا وسموه انتدابا